الفكر الإسلامي بين العقل والوحي

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٣١٥١٠١ - برقيا: الشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - برقيا: شروق - تلكس: SHROK UN 93091

الدكتور عبد العال سالم مكرم

الفكر الإسلامي بين العقل والوحي

وأثره في مستقبل الإسلام

دار الشروق

بسم الله الرحمن الرحيم

الفكر الإسلامي بين العقل والوحي

الإسلام دين شامل يحرص على إصلاح البشرية ، وإسعاد الإنسانية بنشر القيم الفاضلة والمعاني السامية ، والمثل العليا في أرجاء الدنيا ، وفي أنحاء العالم ، وفي كل زمان ومكان . ولا عجب فهو دين الإنسان مهما كان لونه ، ومهما كان جنسه . من شرب من معينه عزّ وساد ومن أعرض عنه فان له معيشة ضنكا « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » [1] . هـذا الدين الخالد دواء لكل مرض ، ونور لكل ظلام ، وحياة لكل موت ، انه يرقى بالإنسان ليكون خليفة الله في الأرض لينشر البرّ والخير ، ويزرع النور والأمل ، ويغرس التقوى والخلق ويفتح الآفاق أمام هذا الإنسان ليعرف مكانه في الوجود ، ومنزلته في الكون ، وقيمته بين الأحياء . « ولقد كرمنا بني آدم » [2] .

ان لهذا الدين دعامتين : احداهما : العقل ، والأخرى : الوحي . فما العقل ؟ وما الوحي ؟

---

(١) آل عمران ٨٥ .

(٢) الاسراء ٧٠ .

العقـل

احتدم الجدل والنقاش بين العلماء والفلاسفة قديماً وحديثاً حول العقل ، وتساءلوا ما حقيقة هذه الكلمة ؟ وما المعاني التي ترمز إليها ؟ وهل العقل هو العلم أو هو القلب ؟ قضايا أثيرت في التراث الإسلامي حول وظيفة العقل ، واستمر باب الحوار والنقاش مفتوحاً على مصراعيه حولها في عصرنا الحاضر ، وحتّى في اللغة نجد هذا الخلاف الدلالي لهذه الكلمة ، ففي « لسان العرب » :

« العقل : الحِجْر والنُّـهي : ضد الحمق . وهو التثبت في الأمور . وهو : القلب . وهو : التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان » [1] .

ولو استمعنا الى الفلاسفة لنعرف رأيهم في معنى العقل رأينا اختلافاً بَيِّناً في هذا المجال ، فأبو بكر بن العربي الفيلسوف ينكـر هذه التسمية لهذه القوة الخفية ويقول إنها : « أسماء لا فائدة تحتها ، وتهويلات لا طائل وراءها ، وذلك أن الأشياء والمدركات تسمى في نظره علما لا عقلا حيث قال تعالى : « ان في ذلك لآية لقوم يعلمون » [2] كما أطلق عليها عقلا فقال تعالى : « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » [3] وبهذا الاعتبار فالعقل عنده هو العلم ، وهو صفة يتأتّى بها درك العلوم [4] وابن رشد الفيلسوف العربي

---

(١) انظر لسان العرب : « عقل » .

(٢) النّمل ٥٢ .

(٣) الرّعد ٤ .

(٤) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ١ : ١٤٢ ـ ١٤٣ .

يحتفظ للعقل بتسميته لأنه يرى أن عقل الإنسان ليس في مستوى واحد في إدراكه للأشياء فهناك عقول نافذة تغوص إلى العمق وتضع يدها على الخيوط الدقيقة لتربط الأشياء ، وهناك عقول دون هذا المستوى لأنها تقف في الربط عند الصفات الظاهرة ، والأمور الواضحة . والمستوى العقلي الأقل في نظره من هذين النوعين تلك العقول التي لا تدرك أسرار ربط المدركات الخفية أو الظاهرة وإنما تقف فقط لتستجيب للألفاظ الرنانة ، والأدلة الخطابية الوعظية ، فابن رشد يقسم العقل الإنساني إلى ثلاثة أنواع يقول : « النوع الأول : العقول البرهانية القادرة على متابعة دليل يقيني محكم ، وتصل إلى نتائج بينة ضرورية . وربط هذه الأدلة هو الذي يكوّن الفلسفة ولكن هذا لا يتسنّى إلاّ لقلة من العقول الموهوبة بالقدر الذي يجعلها تكرّس نفسها لها . والنوع الثاني : عقول منطقية تكتفي بالبراهين الجدليّة . أما النوع الثالث فهو العقول التي تستجيب للوعظ ، والأدلة الخطابية ، وهذه غير مهيّأة لاتباع الاستدلال المنظّم . والعقول الأخيرة نجدها عند الناس العاديين وهم السواد الأعظم الذين لا يستجيبون إلاّ للخيال والعاطفة فحسب » [1] .

وفي نظري أن العقل قوة خفية تدرك بها الأشياء ، وهي هبة سماوية نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل ، بين الخبيث والطيب ، بين النافع والضار ، بين الحسن والقبيح وسواء حملت هذه القوة الخفيّة اسم العقل أو إسم القلب أو إسم العلم .

---

(١) تراث الاسلام لشاخت ترجمة الدكتور حسين مؤنس ٢٠٩ .

نعم انها قوة خفية لا تقع تحت مجهر ، تستطيع أشعتها أن تمتد إلى السماء أو الأرض باحثة عن المعرفة ، لتقف على أسرار الكون ، وخفايا الوجود .

وفي تراثنا العربي رجلان من رجال الأدب والفكر استطاعا أن يضعا حدوداً لهذا العقل قبل أن يعيش في أعماقه فلاسفة العصر الحاضر بما يوضّح أن ما يقال اليوم عن العقل لا يختلف عما قيل في تراثنا العربي والاسلاميّ : أحدهما الجاحظ في رسالته المشهورة « المعاش والمعاد » حيث يقول : « فإنما حُمِدت العلماء بحسن التثبّت في أوائل الأمور واستشفافهم بعقولهم ما تجيء بـه العواقب ، فيعلمون عند استقبالها ما تؤول به الحالات في استدبارها ، وبقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم ، فأما معرفة الأمور عند تكشفها ، وما يظهر من خفاياها فذاك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول والعالمون والجاهلون » [1] .

وقـد استلهم كاتبنا المعاصر الدكتور زكي نجيب محمود رأى الجاحظ في تحديد معنى العقل ما نصه : « فأمّا التحديد الذي أريد أن أحدّد به معنى العقل ـ حين استخدم هذه الكلمة في هذا السياق ـ فهو الحركة التي أنتقل بها من شاهد إلى مشهود عليه ، ومن دليل إلى مدلول عليه ، من مقدمة إلى نتيجة تترتّب عليها ، من وسيلة إلى غاية تؤدي إليها تلك الوسيلة ، وأهم كلمة في هذا التحديد هي كلمة « حركة » فإذا لم يكن انتقال من خطوة إلى خطوة تتبعها فلا عقل ، إذا أدركت شيئاً دون أن تنتقل من هذه الحالة الادراكية

---

(١) رسائل الجاحظ ١ : ٩٥ تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

إلى حالة تليها ، وتتوقفُ عليها فلا عقل ، إذا حملقت ببصري في ثمرة صفراء فلا أجاوز منها إلاّ أنها شيء أصفر فلا عقل ، وإنما يكون العقل إذا انتقلت من رؤية تلك الكرة الصفراء إلى العلم بأنها شيء يؤكل» ..... إلى أن يقول : « واختصاراً فإن حدّ العقل هو أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول ومن شاهد إلى غائب ، ومن ظاهر إلى خفي خبيء ، من حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر أو إلى ماض ذهب وانقضى ولم يعد مرئياً مشهوداً ، ومن ثمّ كان العقل هو الذي يتعقب الحدث إلى أسبابه أو إلى نتائجه . في الحالة الأولى يكرّر راجعاً من الحدث الظاهر إلى علة حدوثه وقد اختفت ، وفي الحالة الثانية يتشوف المستقبل قبل حدوثه مرتكزاً في ذلك على الحدث الماثل في لحظته الراهنة . وأما أن نرى الشيء وقد انكشف وتجلى فلا عقل في ذاك بل لا فرق فيه بين عاقل ومخبول » [1] .

وثانيهما الأديب المفكر ابنُ عبدِ رَبِّه فقد عرف العقل بقوله : «العقل مُتَقَبِّلٌ للعلم لا يعمل في غير ذلك شيئاً» .

وقد أعجبت هذه العبارة الكاتب الدكتور زكي نجيب محمود كما أعجبته من قبل عبارة الجاحظ ، فيقول معبّراً عن إعجابه : « انظر ! العقل لا يولِّد العلم من جوفه كما يولِّد العنكبوت خيوطه من معدته وأمعائه بل إنه يتقبل حصيلته من الخارج من الدنيا بكائناتها الحيّة والجامدة ، من معطيات الحواس سمعاً وبصراً ولمساً » إلى أن يقول : « العقل مقيد بالمشاهدة والتجارب ، مقيد بالواقع المحسوس ، مقيد بالظواهر ، وانه ليكفر برسالته وبوظيفته إذا

---

(١) تجديد الفكر العربي : زكي نجيب محمود ٣١٠ ـ ٣١١ .

هو مزّق هذه القيود ليشطح بلا قيود ولا حدود » [1] .

على أية حال كانت ، فإن تفسير القدماء والمعاصرين من رجالات الفكر الإسلامي متقاربة وكلها تدور حول معنى واحد هو وظيفة هذا العقل ، وليس لنا أن نتساءل بما يعجز عنه العقل ، فنقول : ما العقل ؟ انه سر وقف فيه أصحاب العقول حائرين كما وقفت إزاء الروح التي تملأ الكون حركة فزاد عجزها وصدق الله العظيم «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » [2] وما يقال عن الروح يقال عن العقل لأنه من أمر الله ، وليس للعقل الذي فينا أن يتطاول إلى غير مداه .

وكل الذي يهمنا نحن البشر أن نلمس آثار هذا العقل في حياتنا في ميادين العلم والمعرفة والسلوك والأخلاق والبحث في هذا الكون العريض لنركع في خشوع أمام مبدعه . « صنع الله الذي اتقن كل شيء » [3] وقد أصاب المِحَزّ الامام أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتابه الطب الروحاني حينما عدّد لنا منافع هذا العقل ، ودلّنا على منابعه التي نستطيع أن نرتوي منها فنعرف أسرار كثير من هذا الوجود العظيم . قال : « ان الباري عزّ اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه . وانه أعظم نعم الله عندنا ، وأنفع الأشياء لنا ، وأجداها علينا ....

---

(١) المرجع نفسه ٣٣٥ .

(٢) الاسراء ٨٥ .

(٣) النمل ٨٨ .

فبالعقل فضّلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسسناها ، وذللناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها ، وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا ، ونصل به إلى بغيتنا ومرادنا ، فانا بالعقل نلنا صناعة الطب الذي فيه الكثير من مصالح أجسادنا ، وسائر الصناعات العائدة علينا ، النافعة لنا ، وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة المستورة عنّا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك ، وعظم الشمس ، والقمر وسائر الكواكب ، وأبعادها وحركاتها . وبه وصلنا إلى معرفة الباري عزّ وجل الذي هو أعظم ما استدركنا ، وأنفع ما أصبنا .

وبالجملة فإنه الشيء الذي لولاه كانت حالتُنا حالة البهائم ، والأطفال والمجانين » [1] وقد رفع القرآن الكريم من شأن العقل ، فكثير من الآيات القرآنية تطلب التحلّي به ، والتمسك بأهدابه ، والسّير في طريقه .

وقد حاولت أن أحصر ورود هذه الكلمة التي تقوم عليها تصرّفات الإنسان ، وتفسرُ سلوكه في الحياة فوصلت إلى ما يأتي :

أ ـ صيغة « عقلوه » جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : « يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه » [2]

ب – صيغة «تعقلون» تكررت ٢٤ مرة ومعظمها جاء على صورة الرجاء : « لعلكم تعقلون » ، وعلى صور الاستفهام « أفلا تعقلون » .

---

(١) مقام العقل عند العرب : حافظ طوقان ص ١٠ .

(٢) البقرة ٧٥ .

جـ ـ صيغة « يعقلون » تكررت ٢٢ مرة منها ١٠ صيغ بدون نفي ، ١٢ صيغة جاءت منفية بلا النافية : « لا يعقلون » .

د ـ « تعقل » جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : « لو كنا نسمع أو نعقل » [١] .

هـ ـ صيغة « يعقلها » جاءت مرة واحدة في قوله تعالى : « وما يعقلها إلا العالمون » [٢] .

من هذا الإحصاء نقرر في وضوح أن العقل في القرآن الكريم شغل كثيراً من آياته التي وصفت المؤمنين الذين آمنوا بربهم بأنهم عقلاء يتدبرون آيات الله ، ووصفت هؤلاء المنحرفين بأنهم قوم لا يعقلون إن هم الا كالأنعام بل هم أضل .

ان الأمثال العديدة التي يضربها الله تعالى لخلقه لنأخذ منها العبرة والعظة لا يسبر غورها ، ولا يحيط بكنهها ، ولا يدرك مرماها إلا هؤلاء العقلاء الذين تدبروا وتفكروا ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون » [٣] وإذا يممنا وجهنا نحو الأصل الثاني من أصول الإسلام في التشريع وتنظيم المجتمع ، والاهتمام بالإنسان وهو السنة رأينا في ذلك جملة من الأحاديث تشيد بالعقل والعقلاء وفي الوقت نفسه تذم الحمقى والجهلاء . وفي المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي نجد مادة « عقل » تشغل حيّزاً من صفحاته [٤] .

---

(١) الملك ١٠ .

(٢) العنكبوت ٤٣ .

(٣) العنكبوت ٤٣ .

(٤) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٤ : ٢٩٨ .

وقـد حفظ لنا التراث الإسلامي عبارات عديدة كلها تمدح العقل ، وتعترف بفضله لا تتسع صفحاتُ هذا البحث لتسجيلها ، وإنما نكتفي بمثال واحد حول العقل في ميدان الخصومات أو في ساحات القضاء ، فهذا عمر بن الخطاب ينص في رسالته إلى أبي موسى الأشعري على استعمال العقل في الفصل بين الخصومات . إنها رسالة هي دستور القضاء إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول رضي الله عنه في رسالته : « لا يمنعنـك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشباه والأمثال نفس الأمـور عند ذلك » [1] .

ولـنا أن نتساءل بعـد هذه النصوص التي قدمتها في مكانة العقل وسمو منزلته . هل يستطيع العقل أن يطرُقَ باب ما لم يدركه ؟ هل يستطيع العقل أن يبحث فيما وراء العقل ؟ تلك هي القضية وسأحاول بسطها في إيجاز في النقطة الآتية :

العقل والغيب :

هـذا العقل الذي يخطط في الحياة من أجله ومن أجل غيره ، هذا الذي تغمر الوجود عطاياه ، هذا العقل الذي أمدّ الحياة

---

(١) انظر الكامل للمبرد ١ : ١٣ .

بالحركة والنشاط المذهل ، هل ينفذ نوره إلى كشف أسرار الحياة ، وطلاسم الوجود ؟

كيف يفسر لنا العقل في مجال ما يشاهده ، رفع السماء من غير عمد ؟ كيف يفسر نظام المجموعات الشمسية التي تطل عليه فيرفعُ إليها طرفه فيرتدُ خاسئاً وهو حسير ؟ كيف يفسر لنا كشف أسرار الحياة في المادة التي ماتت ثم يخرج منها الحياة مرة أخرى قوية في إعجاب ؟

هذا فيما يشاهده ، أما ما لم يشاهده فإن العقل أعجز من المشلول الذي لا يستطيع أن يتحرك .

كل هذه الأمور من السهل الإجابة عنها لأنه من البدهي أن العقل مخلوق محدود ، مهما بلغ من الكمال والرقي فله مستوى معيّن لا يتعداه ، وغاية لا يتجاوزها ، وذلك لأن المسافة بين الوجود والعدم مسافة لا يكاد يعبرها العقل البشري ... كيف يعبر العقل البشري هذه المسافة الهائلة إلا بالإحالة على الإرادة المبدعة التي تقول للشيء : كن فيكون ؟

ان العقل إذا لم يعترف بهذه الإرادة المبدعة عجز تماماً عن التعليل والتفسير أو تخبط تخبط الفلاسفة في شتى العصور»[1] .

ويعجبني في تحليل فلسفة عجز العقل البشري عن الإحاطة بأسرار الكون ، وأنه ضعيف في ميدان الغيبيات لا يستطيع أن يصعّد النظر إليها ـ يعجبني ذلك التحليل الرائع للعلامة أبي الحسن النَّدْويّ حيث وضع بتحليله العقل في حجمه الطبيعي وقفصه المادّي

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للشهيد سيد قطب ١١٢ .

يقول ما نصه : « اننـا لو نقدنا العقل نقداً عقلياً جريئاً مجرّدين عن سيطرة العقل على العقل نرى أن العقل وحده عاجز في أداء وظيفته الطبيعية بل هو مضطر إلى الاستعانة بأشياء هي أقل منه قيمة ، ففي إدراك ما لم يدركه العقل من قبل يحتاج إلى استخـدام المعلومات التي حصلت له مسبقاً ، ولا تكون هذه المقدّمات إلا المحسوسات ، فلو حللت المعقولات كلها تحليلاً دقيقاً ، وسمعت رحلة العقل الطريفة والطويلة المدى عرفت أن وسيلة العقل في اكتشاف العوالم الجدد ، والغوص في البحار المجهولة إنما هي هذه المحسوسات التي تبدو تافهة حقيرة ، والمعلومات البُدائيةَ التي لولاها ، ولولا ترتيبها ترتيباً خاصاً لما وصل العقل إلى هذه النتائج الخطيرة ذات القيمة الكبيرة ، فحيث تشل الحواس البشرية ، وحيث لا تكون لدى الإنسان ذخيرة من معلومات ... فهنالك يعجز عقله عن شق الطريق إلى الأمام والوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع كما يعجز أحدنا عن أن يعبر البحر من غير سفينة ، وأن يطير في الجوّ من غير طائرة »[1] .

وفي ضـوء هذا النص يتبين لنا بصفة قاطعة أن التساؤلات التي بدأت بها هذه النقطة من البحث حول إمكانية هذا العقل أن يمرّر هذه القضايا ، قضايا السماوات والأرض قضايا بداية العالم ونهايته ، قضايا الغيب وما حوى من باب عقله الضيق ، أنه لا يستطيع ذلك أنه لو استطاع ذلك لاستطاع الجمل أن يلج في سم الخياط .

مـن أجل ذلك كان على العقل أن يلوذ بالصمت ، وأن يسكت

---

(١) بين الدين والمدنية ص ١٦ لأبي الحسن الندوي .

سكوت المحايد ، ولأبي بكر بن العربي موقف دقيق من هذا الذي يسمونه : « عقلا » ، فقد عرّى العقل من كل ما يملك إزاء المدركات التي لا يستطيع أن يلوي عنقها نحو تفكيره ، لأنها أقوى منه بكثير وقد ردّ على هؤلاء الفلاسفة الذين نزلوا العقل منزلة فوق منزلته ، ومنحوه قدراً فوق قدره ، وبيّن لهم أن دعوتهم حمقاء « لا تقوم على سوق ، وهي الزعم بأن العقل قادر قدرة مطلقة على إدراك أو تحصيل جميع المعلومات إذ أنه ليس لنا أن ندعي أن له مكاناً في الإدراك يتيح له أن يحيط بكل شيء بمفرده واستقلاله بل أن العقل متواضع ومحدود في مجال إدراكه إذ يوجد طور فوقه ، وعال عليه لا يقوى على إدراكه ، ولا على أن يطرق بابه ، وإنما الذين يَقْوونَ على طرْق بابه والنفاذ إليه ، إنما هم الأنبياء الذين أوتوا وسائل توضيح حقائقه ، والتعبير عن قانونه » [1] .

وعلى هذا المنهج سار الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال» حيث يقول : « وعلى الجملة فالأنبياء أطباء أمراض القلوب ، وإنما فائدة العقل وتصرفه أن عرّفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ، ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة ، وأخذ بأيدينا وسلمنا إليها تسليم العُمْيان إلى القائدين ، وتسليم المرضى المتحيرين إلى الأطباء المشفقين ، وإلى هاهنا مجرَى العقول ومخطاه ، وهو معزول عما بعد ذلك إلاّ عن تفهم ما يلقيه الطبيب إليه » [2] .

---

(١) انظر آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ١ : ٤٤ .

(٢) المنقذ من الضلال للإمام الغزالي ٨٧ .

ومـن هذا المنطلق كان العقل في حاجة إلى الوحي فهو النور الذي يساعده على أن يسير في دروب الحياة ، ثابت الخطا ، رابط الجأش ، ذلك لأن العقل لا يعيش إلا في المدركات ، والمدركات لها علاقة بالبيئات ، والبيئات ألوان مختلفات ، فقد تؤثر فيه تأثيراً سيئاً فينحرف عن الصواب ، ويميل إلى الخطأ ، ويتجه إلى الباطل ومن ثم يتحول إلى مارد جبار يدمّر ولا يبني ، يهدم ولا يصلح ، يشقى ولا يسعد ولما كان شأنه كذلك ربطه خالقه بالوحي على أيدي رسل كرام يعيشون على هذه الأرض يأكلون الطعـام ويمشون في الأسواق . ومـن دونهـم فإن مسؤوليـة العقل في الضلال موقوفة وانحرافه عن جادة الصواب غير مؤاخذ بها ، لأنه تصرف في حدود قدراته ، وصدق الله العظيم ، « وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولا » [1] .

وسأتناول الوحي بشيء مـن الدراسة والبحث لأنـه الدعـامـة الثانية للفكر الإسلامي بكل جوانبه المختلفة ، بكل ميادينه المتعددة في الأرض وفي السماء في الدنيا وفي الآخرة .

الوحي

كمـا كانت مدلولات العقل في اللغة عديدة ، فان مدلولات الوحي أيضاً عديدة ، فالوحي : إلهام لا يختص به الإنسان دون غيره من المخلوقات ففي جانب النحل نقرأ قوله تعالى : « وأوحـى

---

(١) الاسراء ١٥ .

ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون » [1] وفي جانب الإنسان نقرأ قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه » [2] .

والوحي : إشارة : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيّا » [3].

والوحي همس ووسوسة : « وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم انكم لمشركون » [4]

والقرآن الكريم : وحي : « ان هو الا وحي يوحى » [5]

والذي أهدف إليه من هذه المدلولات العديدة لكلمة « وحى » هو الوحي في اصطلاح الشرع .

والوحي في اصطلاح الشرع معناه : الرسالات السماوية التي يكلف بها نبي مختار من عباد الله ليعمل بها أو يبلغها مع عمله إلى القوم الذين أرسل إليهم .

والوحي بهذا المدلول أنواعه عديدة : فقد يكون عبارة عن إلقاء المعنى في النفس والقلب .

وقد يكون كلاماً من وراء حجاب . ومن أنواعه أن ينزل ملك الوحي وهو جبريل عليه السلام إلى الأنبياء ليلقي عليهم رسالات السماء وتعاليمها ، وقد يأتي جبريل على صور مختلفة لا نستطرد

---

(١) النحل ٦٨ .

(٢) القصص ٧ .

(٣) مريم ١١ .

(٤) الانعام ١٢١ .

(٥) النجم ٤ وانظر لسان العرب في مادة (وحي) .

في ذكرها لأنها وحدها تحتاج إلى بحث طويل والآية القرآنية الكريمة بينت أنواع هذا الوحي وهي قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء » [1] والذي أريد أن أخلص إليه في مجال الحديث عن الوحي أن الإسلام تميز عن الأديان الأخرى التي سبقته بأن معجزته الخالدة قرآن موحى به من الله تعالى « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » [2] .

أعني أن القرآن ليس من صنع العقل البشري ، وإلا لتناولته العقول لتجاريه في مجال القول ، وتناقشه في مضمار البلاغة ، وتتحداه في ميدان البيان .

وما زال القرآن الكريم إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يحمل عناصر القوة التي تفرض سلطانها على العقول والقلوب ، والعواطف والمشاعر ، والتي لا تمتلك القوى البلاغية إلا أن تستسلم لها في انقياد وخضوع [3] .

القرآن من حيث المعنى والاشتقاق :

تعرّض اللغويون لأصل هذه الكلمة واشتقاقها ، وقد سجلت كتب المعاجم ما دار حولهم من خلاف ولم ينس السيوطي في

---

(١) الشورى ٥١ .

(٢) الشعراء ١٩٢ ـ ١٩٥ .

(٣) انظر : من الدراسات الاسلامية للباحث ص ٤٢ .